المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة

معهد الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربي

عنوان الدرس

الاودواجية اللغوية والثنائية اللغوية – الجزء 1 – د. عبد الحميد بوفاس

التخصص : لسانيات تطبيقية + لسانيات عربية

المستوى : سنة أولى ماستر

معهد الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربي

مقدمة:

من المصطلحات الرائجة في علم اللغة الاجتماعي واللسانيات الاجتماعية : الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، وهما نتاج رؤية جديدة قديمة للبحث اللغوي ، إضافة إلى أنّ المجتمعات تعيش أحد مظهرين إما الازدواجية اللغوية أو الثنائية اللغوية . وكثيرا ما تطرح قضايا الازدواج والتعدد اللغوي في المجتمعات مشاكل جوهرية ذات صلة وثيقة بالهوية والحضارة والثقافة أو بالأحرى تقدّم الشعوب ورقيها ، لأن السيادة اللغوية من سيادة الأمة .

غير أننا نلاحظ تداخلا كبيرا في ضبط مفهومي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية بين علماء اللغة وعلماء الاجتماع أو الأنثروبولوجيا ، مما نجم عنه تكريس فكرة الصراع الخفي – صراع أيديولوجي – ضمن المباحث اللغوية .

وعلى هذا الأساس وجب النظر إلى مسألة الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية بحذر شديد ، ذلك أنّ قضايا التعدد اللغوي بصفة عامة في اللغة العربية لم تكن شبيهة بما هو موجود في باقي اللغات كاللاتينية مثلا ، مما يجعل الازدواجية اللغوية في اللغة العربية مثلا ازدواجية احتواء لا إقصاء .

وهذا ما يجعلنا نعيد النظر في تحديد مفهومي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، مع تحديد المعايير التي تسمح لنا بأن نقول إنّ مجتمعا ما ازدواجي أو ثنائي اللغة ، وهل يبقى تحديد مفهوم المصطلحين رهين خصوصيات الجماعة التي تتكلم بلغة معينة أم أنّ هناك معايير وضوابط إن لم تتوفر يسقط تصور الازدواج أو التعدد اللغوي .

تمهيد :

يعدّ اللسان العربي من أهمّ الألسنة التي نالت حظا وافرا من الدراسة والتحليل ، وإن دلّ ذلك فإنما يدل على غنى ذلك اللسان ودوره الحضاري والثقافي عبر العصور.

كما أنّ كثيرا من الحقائق التي توصّلت إليها اللسانيات الحديثة لا تبتعد كثيرا عمّا أقرّه اللغويون العرب القدماء ، مما يجعل لمناهج القدماء أهمية لا تنكر في دراسة اللسان العربي وإن اختلفت آليات المعالجة.

إلا أنّ هذا الأمر لا ينبغي أن يجعل اللسان العربي في منأى عن الاستفادة من مختلف العلوم الحديثة ، خاصة اللسانيات ، وعلم الاجتماع اللغوي ، وعلم النفس اللغوي ، وعلم الأنتروبولوجيا اللغوية ، ممّا يمكّن من دراسة أعمق لخصوصيات اللسان العربي ويكشف أكثر عن وظائفه ، ويفهم كيف تتشكّل الهويات الاجتماعية والإيديولوجيات والمعتقدات .

بل أعمق ممّا سبق ذكره ، فإنّ اللسان مظهر من مظاهر التطور والتقدم ، أو دليل على الانحطاط والتقهقر. ولعلّه يكون سبيلا إلى السيطرة والهيمنة التي تصل حدّ الاستعمار ؛ فهو استعمار لساني ثقافي يؤدي بالضرورة إلى الاختلاف والتفرقة وإنهاك القوى ، ومن ثمّ سهولة التبعية والتمسّك بجلباب الأمم المتحضّرة ، وما على المغلوب إلا أن يتبع الغالب في مظهره ولباسه ومشربه ومأكله وعاداته وتقاليده.

ومن هنا أتت ضرورة البحث الموضوعي في مشاكل اللسان العربي باعتباره يمثّل حقيقة وجودنا، ولا يمكن لهذا الوجود أن يكون فاعلا وقادرا على التفاعل مع الواقع المعيش وفهم معطيات العصر الجديدة والصمود في تيارات العولمة ، إلا من خلال إبراز عناصر القوة في ذلك اللسان وإيجاد حلّ علمي موضوعي لمختلف إشكالاته المطروحة ، خاصة في ظلّ سيطرة ثقافة انهزامية في المجتمعات العربية.

ولعلّ من أهم القضايا التي ينبغي على اللسانيين واللغويين والمختصين دراستها بدقة وعمق كبيرين " الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية" ، أوّلا : بالضبط الدقيق للمصطلح في ظل تعدّد المفاهيم . ثانيا : فهم حقيقة الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، بمعنى آخر : هل هذه الظاهرة تماثل ما هو موجود في اللسان الأجنبي أم تخالفها؟ . ثالثا: البحث في السياسة اللغوية المنتهجة في دراسة تلك الظاهرة ، وفق مناهج لا تهمل خصوصية المجتمعات الناطقة بتلك اللغة. رابعا : تقدير نتائج تلك المناهج والآليات على مدى بعيد ، قصد النظر في الضرر والفائدة المحققين ، من خلال معالجة تلك الظاهرة ، بمعنى آخر : النظر في تأثير كلّ من الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية في التعليم والتعلّم واكتساب المعارف خاصة لدى الأطفال ، وأيضا التأثير في بنية المجتمع ، في ظل تفاعلها مع المعطيات السياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية.

**أولا : تعريف الازدواجية اللغوية**

ينبغي أن نشير منذ البداية إلى صعوبة الفصل بين مصطلحي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، ويمكن أن نجمل بعض أسباب ذلك فيما يأتي :

1- اختلاف الباحثين العرب أو الغربيين في تعريفهم للمصطلحين السابقين ، فأحيانا نجد مفهوم الثنائية اللغوية يأخذ مفهوم الازدواجية اللغوية، والعكس صحيح.

2- لا يوجد إجماع على مفهوم أو تصوّر واحد لفكرة الازدواج أو الثنائي في اللسان، فهناك من يرفض فكرة الازدواج على مستوى اللغة الواحدة ، ويعتبرها في لسانين مختلفين، في حين هناك من ذهب إلى عكس ذلك ، بمعنى أنّ الازدواج يكون على مستوى اللغة الواحدة ، والاختلاف يكون في الدرجة ، أي بين ما هو فصيح وعامي ، أو ما هو رسمي وغير رسمي.

3- الاختلاف في أسباب وجود الازدواج أو الثنائية في اللسان، حيث كثيرا ما تقدّم تفسيرات مبطّنة بإيديولوجيات وحسابات سياسية ، بعيدا عن الطرح العلمي الموضوعي.

4- الاختلاف في تقدير الضرر والنفع الناجمين عن وجود ظاهرة الازدواج والثنائية في اللسان ، حيث بالغ بعضهم في تصوير الضرر ، ممّا أدى إلى الإحجام عن دراسة تلك المشكلة اللسانية دراسة علمية تقدّم الحلول المناسبة والضرورية، في حين رأى بعضهم الآخر أنّ تلك المسألة من باب التنوع والثراء الثقافي للألسنة ، ووجب قبولها وعدم رفضها في المجتمعات ، وراح يدعو إليها ويعزّزها من خلال إنشاء أكاديميات تهتم بقضايا تطوير لغة معيّنة.

5- عدم اعتراف بعض الباحثين بخصوصية المجتمعات العربية ، أو بالأحرى تقديم أحكام مسبقة وقبلية على اللسان العربي ، أثناء تطبيق مناهج غربية تقرّها اللسانيات الحديثة ، وذلك ما أدى إلى مزالق علمية كثيرة أثّرت على المدى القريب أو البعيد في هوية المجتمعات.

6- اختلاف المصطلح الأجنبي المقابل لمصطلحي ازدواجية لغوية وثنائية لغوية لدى الدارسين ، ففي بعض المؤلفات نجد ازدواجية لغوية يقابلها مصطلح digliossie أو diglossia ، ومصطلح ثنائية لغوية يقابله bilinguisme ، وأحيانا أخرى يقابل مصطلح ازدواجية لغوية ( لسانية) bilinguisme ، في حين مصطلح ثنائية لغوية ( لسانية) يقابله digliossie أو diglossia .

7- اختلاف السلطة السياسية في التعامل مع قضايا السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي والأمن اللغوي ، فقد تنتصر السلطة السياسية للغة أقلّية معيّنة ، وتفرضها على الجماعة ، أو العكس، وقد تنتصر للغة دون أخرى – خاصة في حالة التعدّد اللغوي- لأسباب تراها تخدمها في تنظيم علاقاتها بالدول الأخرى.

8- لا يمكن فصل مصطلحي " ازدواجية لغوية ، ثنائية لغوية" عن مصطلحين أوسع مجالا ، وهما : السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي. ومن دون شكّ، فإنّ هذين الأخيرين يعدّان مفهومين حديثين ولا يغطيان الممارسات اللغوية القديمة إلا جزئيا.[1]

9- تأخّر اهتمام اللسانيات بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع ، ولعلّ المنهج المسيطر بفعل رؤية فردنان دي سوسر وأتباعه ، من خلال دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، أدّى إلى تهميش البحث في تفاعلية تلك العلاقة ، إذ لا يمكن أن نتصوّر لغة دون مجتمع ، أو مجتمعا دون لغة.

1- ينظر : لويس جان كالفي : السياسات اللغوية ، ترجمة : محمد يحياتن ، ط(01)، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، 2009 م، ص/07.